نهاية الأرض
في القرآن الكريم
بين التفسير العلمي والضابط اللغوي

بحث مقدم من قبل:
د. هدى هشام إسماعيل الزيدي

١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سـيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ،و من اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد . فالأرض هي كفات الأحياء والأموات ، وهي الأم التي تحتضن كل من عليها ومنها نخرج و إليها نعود ، وقد هيأ الله الأرض للبشر بميزان دقيق وحساس ، وأي خلل بسيط قد يؤدي إلى هلاك الأحياء بداخلها ، فالمخاطر محيطة بنا من كل جانب ، ومن فوقنا ومن تحتنا ، فمن فوقنا الأشعة الكونية القاتلة يصدها الغلاف الجوي ، ومن تحتنا أثقال الأرض المنصهرة ، تخرج من فوهات البراكين التي تعد صمام أمان يحفظ الأرض من انفجار مدمر لها ، فنحن نعيش على بساط صلب مثبت بالجبال إلى ما شاء الله ، فكل شيء هالك إلا وجهه ، وقد حذرنا الله تعالى من يوم عصيب بآيات قرآنية وكونية تدل على هلاك الكون ، وقد صور لنا مشهد ذلك اليوم بتفصيل يقرع القلوب المؤمنة ، ويحرك المشاعر النائمة ، ويحاجج علماء البشر ليريهم ذلك اليوم الحق . وما توصل إليه العلماء ما هو إلا جزء يسير من معرفة مشاهد نهاية الأرض ، وقد تناولت في هذا البحث بعض الآيات المتعلقة بأحداث نهاية الأرض، وذكرت أقوال المفسرين ، ومن ثم عرض النظرة العلمية المتعلقة بموضوع الآية ، وضبطها بالضوابط اللغوية لمعرفة مدى صحة التفسير العلمي من غير أن ندخل في التفسير مالا يحتمله النص القرآني ، والله الموفق .

الباحثة

الفصل الأول

زلزال الارض وتحديثها:

قال تعالى : (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا. وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ)[١]

الثقل في اللغة :

قال الخليل[٢] : ثَقُلَ ثَقْلاً فهو ثقيل ، الثقل رحجان الثقيل والثقل : متاع المسافر ، وجمعة أثقال والأثقال : الآثام .

وذكر ابن فارس[٣] أن الثاء والقاف واللام أصل واحد يتفرع منه كلمات متـــقاربة ، وهو ضد الخفة ، ولذلك سمي الجن والإنس الثقلين ، لكثرة العدد ، وأثقال الأرض كنوزها في قوله تعالى (وأخرجت الأرض أثقالها) ويقال هي أجساد بني آدم .

وفي اللسان : (وكانت العرب تقول : الفارس الجواد ثقل على الأرض ، فإذا قتل أو مات سقط بها عنها . والثقل الذنب .. وأثقلت المرأة : فهي مثقل : ثقل حملها في بطنها ، وفي المحكم ثقلت واستبان حملها)[٤].

وفي القاموس :(الأثقال : كنوز الأرض ، وموتاها والذنوب والأعمال الثقيلة)[٥].

أقوال المفسرين في هذه السورة :

(إذا زلزلت الأرض زلزالها) أي حركت من أصلها كذا روي عكرمة عن ابن عباس وكان يقول في النفخة الأولى ، وقال مقاتل من شدة صوت إسرافيل حتى ينكسر كل ما

---

(١)- الزلزلة/١-٨.

(٢) -العين /ثقل.

(٣) -مقاييس اللغة / ثقل .

(٤) -لسان العرب / ثقل .

(٥) -قاموس المحيط / ثقل .

عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقي كل ما على ظهرها من جبل أو بناء أو شجر ثم تتحرك وتضطرب فتخرج ما في جوفها[١] .

وفي وقت هذه الزلزلة قولان :

أحدهما : تكون في الدنيا وهي من أشراط الساعة قاله الأكثرون

والثاني : أنها زلزلة يوم القيامة . قال ابن زيد في الآخرة قال الفراء[٢] ، وقال البيضاوي : زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الأولى والثانية [٣].

وقوله تعالى :(وأخرجت الأرض أثقالها) فيه قولان :

أحدهما : ما فيها من موتى تخرجهم في النفخة الثانية قاله ابن عباس ومجاهد . قال أبو عبيدة والأخفش إذا كان الميت في باطن الأرض فهو ثقل لها وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها .

والثاني : كنوزها قاله عطية وفي الحديث (تلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوانة من الذهب والفضة ، فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ، ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا)[٤] . وجمع القراء بين القولين فقال لفظت ما فيها من ذهب أو فضة أو ميت وهذا ما فسر به أكثر المفسرين[٥].

وقوله تعالى :(وقال الإنسان ما لها) فيه قولان :

أحدهما : أنه اسم جنس يعم الكافر والمؤمن وهذا قول من جعلها من أشراط الساعة لأنها حين ابتدأت لم يعلم الكل أنها من أشراط الساعة فسأل بعضهم بعضاً حتى أيقنوا.

---

[١]– ينظر جامع البيان ٢٦٦/٣٠ ، زاد المسير ٢٠١/٩ ، الجامع لأحكام القرآن ١٤٧/٢٠ ، روح المعاني ٢٠٨/٣٠.

[٢] –ينظر زاد المسير ٢٠١/٩ ، أنوار التنزيل .

[٣] –ينظر أنوار التنزيل ٥١٨/٥.

[٤] –أخرجه مسلم في صحيحه ٧٠١/٤ رقم الحديث ١٠١٣ .

[٥] –ينظر جامع البيان ٢٦٦/٣٠ ، زاد المسير ٢٠٢/٩ ، الجامع لأحكام القرآن ١٤٧/٢٠ ، تفسير البغوي ٥١٥/٤ ، تفسير القرآن العظيم ٣٤٨/٧.

والثاني : أنه الكافر خاصة وهذا قول من جعلها زلزلة القيامة لأن المؤمن عارف فلا يسأل والكافر جاحد لها لأنه لا يؤمن بالبعث فلذلك يسأل[١] .

والذي يبدو أنهم الكفار كما جاء في الحديث : قال ابن مسعود سمعت النبي ﷺ يقول:(من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء)[٢]

وفي حديث آخر يقول : (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك فقال عبد الله أجل ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك مسها مس الحرير فلا تترك نفسا في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة)[٣].

وقوله تعالى : (يومئذ تحدث أخبارها) أي في ذلك اليوم العصيب – يوم القيامة – تتحدث الأرض وتخبر بما عمل عليها من خير أو شر ، تشهد على كل انسان بما صنع على ظهرها ، عن ابي هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ (يومئذ تحدث أخبارها) فقال : (أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، تقول : عمل يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ، فهذه أخبارها)[٤]. وفي الحديث (تحفظوا من الأرض فإنها أمكم ، وإنه ليس من أحد عاملا عليها خيرا أو شرا إلا وهي مخبرة به)[٥].

(بأن ربك أوحى لها) أي ذلك الإخبار بسبب أن الله جلت عظمته أمرها بذلك [٦] وقال مجاهد : أوحى لها أمرها ، وقال القرطبي : أوصى أن تنشق عنهم [٧]. (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً) أي في ذلك اليوم يرجع الخلائق من موقف الحساب ، وينصرفون متفرقين

---

[١]– ينظر زاد المسير ٢٠٠٣/٩ ، الجامع لاحكام القرآن ١٤٩/٢٠ ، فتح القدير ٤٧٨/٥ .

[٢]– صحيح البخاري ٢٥٩٠/٦ رقم الحديث ٦٦٥٦.

[٣] –صحيح مسلم ١٥٢٤/٣ رقم الحديث ١٩٢٤.

[٤] –أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح ٤٤٦/٥ رقم الحديث ٣٣٥٣.

[٥] –أخرجه الطبراني في معجمه المعجم الكبير ٦٥/٥ ، رقم الحديث ٤٥٩٦.

[٦] –ينظر صفوة التفاسير ٥٩١/٣.

[٧] –ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٤٧/٢٠ ، تفسير القرآن العظيم ٥٣٩/٤.

فرقاً فرقاً ، فآخذ اليمين إلى الجنة وآخذ الشمال إلى النار[١] (ليروا أعمالهم) أي يصدرون لأجل تلقي جزاء الأعمال التي عملوها في الحياة الدنيا فيقال لكل جماعة : انظروا أعمالكم ، أو انظروا مآلكم [٢].

(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) والمثقال ما يعرف به ثقل الشيء و (مثقال ذرة) مثل في أقل القلة [٣].

النظرة العلمية في تفسير السورة :

لقد عكف العلماء المتخصصون على البيانات المتعلقة بالزلازل والبراكين ورسموا لذلك خريطة تسمى بؤر الزلزال الحديث وخريطة أخرى تمثل نشاط البراكين وتسمى خريطة النشاط البركاني الحديث .. وتظهر المقارنة بين تلك الخرائط أن هناك تطابقاً كاملاً بين المناطق التي تحدث فيها الزلازل (أحزمة الزلازل) وتلك التي تكثر فيها الأنشطة البركانية (أحزمة النار) مما يؤكد وجود علاقة وثيقة لا يشوبها أي شك بين الزلزلة والانفجارات البركانية[٤] .

وتنشأ الزلازل نتيجة الانهيارات الأرضية الكبيرة أو تكون مصاحبة لثورة البراكين وأغلبها نتيجة تصادم الألواح الأرضية فبعضها يتصادم والبعض الآخر يتباعد أو قد يحدث انزلاق بعضها تحت بعض[٥] .

كما أن مكونات الأرض في جوفها أثقل من مكوناتها السطحية وهذا أمر مؤكد لا يختلف عليه اثنان من علماء الأرض بل أنه أمكن تحديد كثافة تلك المكونات[٦].

---

[١] -ينظر صفوة التفاسير ٥٩١/٣.

[٢] -ينظر التحرير والتنوير ٤٣٥/٣٠.

[٣] -المصدر نفسه ٤٣٦/٣٠.

[٤] -ينظر مجلة الإعجاز العلمي / العدد الثاني سيبتمبر ١٩٩٦ – مقال الزلازل والبراكين – الدكتور احمد حسين شحاذ بهيئة الموارد النووية ٥٢-٥٥ ، وينظر تيسير الرحيم الرحمن في الإعجاز العلمي في القرآن ٢١٠-٢١١.

[٥]- مجلة الإعجاز العلمي / العدد الثاني والعشرون رمضان ١٤٢٦هـ – مقال الزلزال / بقلم إبراهيم طرابية ص٣٥

[٦]- ينظر تيسير الرحيم الرحمن ٢١١.

ويؤكد العلماء وجود أثقال في باطن الأرض من حديد ونيكل في درجة ٥٠٠٠ ْ مئوية وتحت ضغط ١.٤ مليون ضغط جوي ! وكأن باطن الارض جهنم طبيعية تلتهب تحت بحارنا ومدننا وأننا واقفون على ظهر لغم عظيم سوف ينفجر في أي وقت يدمر الأرض كلها بكتلتها التي تصل إلى ألف بليون طن[١].

أما تسجيل الأرض لأعمال ابن آدم فالإنسان يحوي حديدا بداخله موجودا في الهيموغلوبين في الدم ، وهذا الدم دائم الحركة وعليه الحديد المتحرك سيولد مجالاً كهرومغناطيساً للإنسان فضلاً عن مجاله الحراري وهذان المجالان مكتشفان ومشخصان علمياً ولهما تطبيقات وأجهزة تقنية في مجالات عديدة . والأرض بدورها تحوي اللب السائل المتكون جله من حديد وهذا يدور في الجوف بتيارات فضلاً عن دورانه مع الأرض التي تحمله فيشكل مجالاً كهربياً ، والجوف الحديدي للأرض يشكل مجالاً مغناطيسياً كبيراً للأرض والاثنان معاً يشكلان مجالاً كهرومغناطيساً للأرض ، والأرض عبارة عن مولد هائل ذاتي الحركة وعلى هذا الأساس يكون البشر كالشاحنات الكهربية الداخلة في وسط أو مجال مغناطيسي وهذا يعني فيزيائياً أن كل دقيقة مشحونة تدخل مجالاً مغناطيسياً فانها تؤثر وتتأثر به ، ويمكن تسجيل هذا التأثير وكل ذلك له تطبيقات عديدة في عالم اليوم كجهاز الاستنساخ وتقنيات أخرى عديدة ، أي أن لكل واحد منا تأثيرات يمكن أن تسجلها الأرض علينا . كما أن بعض طبقات الغلاف الجوي لها خصائص خزن الموجات الكهرومغناطيسية القادمة من الفضاء والخارجة من الأرض[٢].

<u>الضابط اللغوي في التفسير</u> :

افتتاح الكلام بظرف الزمان مع إطالة الجمل المضاف إليها الظرف تشويق إلى متعلق الظرف إذ المقصود ليس توقيت صدور الناس أشتاتا ليروا أعمالهم بل الإخبار عن وقوع ذلك وهو البعث ، ثم الجزاء ، وفي ذلك تنزيل وقوع البعث منزلة الشيء المحقق المفروغ

---

[١] -ينظر الكون والإعجاز العلمي للقران ٣٨٦.

[٢]- سلسلة ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية / الكتاب الخامس عشر (آخر الزمان) ٧٩-٨٠.

منه بحيث لايهم الناس إلا معرفة وقته وأشراطه فيكون التوقيت كناية عن تحقيق وقوع الموقف[١].

كما أن (إذا) لها أثرها البياني في هذا الموقف الذي يأتي بغتة إمعاناً للترهيب [٢] .

وبناء الفعل (زلزلت) بصيغة النائب عن الفاعل لأنه معلوم فـــاعله وهو الله تعـــالى [٣]. ويبدو من الآية الكريمة أن بناء (زلزلة) للمجهول أسلوب بياني لتركيز الاهتمام في الحدث ذاته وللإيحاء بأن الأرض تزلزل طواعية واستجابة لتسخير من الله عز وجل[٤]. ويتحقق ذلك حين يلجأ القرآن الكريم إلى تصوير يوم القيامة وما يصاحبه من أحداث جسام تتزلزل لها الأرض .. وهي أهوال ينخلع لها القلب ، وينصرف إليها فكر الإنسان ووجدانه ، وتأخذ عليه النفس من أقطارها فلا يتعلق بالبحث عن الفاعل ، وإنما هو ماخوذ بهذا التصوير الرائع لهول اليوم الأكبر ، وانك لتجد القرآن يكثر من حذف الفاعل في هذه المواضع ، ويعمد إلى بناء الفعل للمجـــهول ، لأن الغرض لا يتعلق به [٥]. وأما التعبير بصيغة الماضي فهو تأكيد لحصول الزلزال في المستقبل[٦].

ومعنى (زلزلت) : حركت تحريكاً شديداً حتى يخيل للناس أنها خرجت من حيزها لأن فعل زلزل مأخوذ من الزلل وهو زلق الرِّجلين ، فلما عنوا شدة الزلل ضاعفوا الفعل للدلالة بالتضعيف على شدة الفعل كما قالوا كَبْكَبه ، أي كَبَّه ولَمْلَم بالمكان من للّم[٧] . ومعلوم عن أهل اللغة أن تكرار الصوت يؤدي إلى تكرار المعنى وتصويره والمبالغة فيه [٨].

وقوله تعالى (زلزالها) أي الزلزال المخصوص بها .. وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده زلزال فكأن ما سواه ليس زلزالاً بالنسبة إليه أو زلزالها العجيب الذي لا يقادر القدرة، فالإضافة على وجهين للعهد ويجوز أن يراد الاستغراق لأن زلزالها مصدر مضاف فيعم

---

[١] -ينظر التحرير والتنوير ٤٣٢/٣٠ .

[٢]- ينظر الكون والإعجاز العلمي للقران ٣٨٦.

[٣] -ينظر التحرير والتنوير ٤٣٢/٣٠.

[٤] -ينظر الكون والإعجاز العلمي للقرآن ٣٨٦.

[٥] -ينظر لغة القرآن الكريم في جزء عم ٣٨٩.

[٦] -ينظر الكون والإعجاز العلمي للقرآن ٣٨٦.

[٧] -ينظر التحرير والتنوير ٤٣٢/٣٠

[٨] -ينظر لغة القرآن الكريم في جزء عم ٣٣٩.

أي زلزالها كله وهو استغراق عرفي قصد به المبالغة وهو المراد من قال : أي زلزالها الداخل في حيز الإمكان أو عني بذلك العهد أيضا . وقال الزمخشري [١] المكسور مصدر والمفتوح اسم للحركة المعروفة ،ونصب ههنا على المصدر تجوزاً لسده مسد المصدر، وقال أيضاً ليس بالأبنية فعلان بالفتح إلا في المضاعف وذكروا أنه يجوز في ذلك الفتح والكسر إلا أن الأغلب فيه إذا فتح أن يكون بمعنى اسم الفـــاعل كصلصال بمعنى مصلصل وقضقاض بمـــعنى مقضـــقض ووسواس بمعنى موسوس وليس مصدراً عند ابن مالك . وذكر المصدر للتأكيد ثم أضيف إلى الأرض كقولك لأعطينك عطيتك أي عطيتي لك وحسن ذلك لموافقة رأس الآي بعدها وقراءة العامة بكسر الزاي من الزلزال وقرأ الجحدري[٢] وعيسى بفتحها[٣].

يقول ابن عاشور: انتصب (زلزالها) على المفعول المطلق المؤكد لفعله إشارة إلى هول ذلك الزلزال فالمعنى إذا زلزلت الأرض زلزالاً وأضيف زلزالها إلى ضمير الأرض لإفادة تمكنه منها وتكرره حتى كأنه عرف بنسبته إليها لكثرة اتصاله بها كقول النابغة .

أسائلتي سَفَاهتَهَا وجَهلاً على الهجران أختُ بني شهاب

أي سفاهة لها ، أي هي معروفة بها ، وقول ابي خالد القناني :

والله أسماكَ سُمى مباركاً آثـــرَك الله بـــه إيثـــاركـــا

يريد إيثاراً عرفت به واختصصت به . وفي كتب السيرة أن من كلام خطر بن مالك الكاهن يذكر شيطانه حين رُجِم (بَلْبَلَه بَلْبَاله) أي بلبال متمكن منه [٤].

أما الزركشي فيقول تكرار الفعل مرتين ضربت ضرباً بمنزلة قولك ضربت ضربت فعدلوا عن ذلك واعتاضوا عن الجملة بالمفرد[٥].

---

[١] -ينظر الكشاف ٤/٧٩٠.

[٢] -ينظر مشكل إعراب القرآن ٢/٨٣٤.

[٣] -ينظر الجامع لأحكام القران ٢٠/١٤٧ ، فتح القدير ٥/٤٧٨ ، روح المعاني ٣٠/٢٨٠.

[٤] -ينظر التحرير والتنوير ٣٠/٤٣٢-٤٣٣.

[٥] -ينظر البرهان في علوم القرآن ٢/٣٩٢.

وإذا عدنا إلى التفسير العلمي نلاحظ كما ذكرناه من تفسير لغوي من أهوال ذلك اليوم وفناء الأرض قد عبرت عنه لغة القرآن الكريم بالتفصيل الموافق لما وجده العلماء . حينما وصفوا باطن الأرض بجهنم طبيعية وأننا واقفون على ظهر لغم عظيم سوف ينفجر في أي وقت، ولم يعلموا ذلك الوقت وكيف سينفجر لأن احتمالات فناء الأرض التي ذكرها العلماء من عدة جهات لا يسع المقام لذكرها هنا منها من داخل الأرض ومنها من الفضاء الخارجي لذا عبر القرآن بقوله (زلزلت) المبني للمجهول فلا نعلم من أين سيأتي فذلك في علم الله الواحد الأحد وأن نهاية الكون هو عند النفخ في الصور وسوف نتناول ذلك في المباحث التالية . وفي قوله زلزالها يبين بوضوح كما أشار العلم بنهايتها المحتومة .

أما قوله تعالى : (وأخرجت الأرض أثقالها) فقد ذكرنا أن للثقل عدة معاني وهذا ما فسر به المفسرون القدامى بالأموات والكنوز والأحمال الثقيلة والذنوب . والمعنى العام للثقل هو ضد الخفة وهو ما يوافق التفسير العلمي فما موجود في باطن الأرض من حديد ونيكل وغيرهما من المعادن الثقيلة أثقل من مكوناتها السطحية وموافق أيضا لحديث الرسول ﷺ حين قال : (تلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوانة من الذهب والفضة ..) وهنا يمكن أن نفسر الأثقال بالكنوز ، وإذا فسرنا قوله تعالى الأثقال بمعنى الذنوب فمعلوم أن الأرض تسجل على الإنسان كل أعماله ،وفي هذا المقام يتذكر الإنسان كما قال تعالى : (يوم يتذكر الإنسان ما سعى)[١] . وأكثر ما يخشاه الإنسان في هذا المقام ذنوبه وفي هذا تجسيد للذنوب بالشيء المادي الثقيل وهذا كما جاء في الذكر الحكيم: {وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ }[٢]

وقوله تعالى : (وأخرجت الأرض أثقالها) إظهار في مقام الإضمار بقصد التهويل [٣]. ومن معاني الثقل كما جاء في اللسان : (وأثقلت المرأة : فهي مُثْقِل : الثِّقْل حملها في بطنها) وهذا ما فسر به الآلوسي حمل الأرض على سبيل التشبيه والاستعارة [٤].

---

[١]–النازعات /٣٥.

[٢] –الانشراح /٣

[٣] –ينظر التحرير والتنوير ٤٣٣/٣.

[٤] –ينظر روح المعاني ٢٩٠/٣٠.

وجملة (وأخرجت الأرض أثقالها) معطوفة على قوله (إذا زلزلت الأرض زلزالها) وهذا ما يؤكد على وجود علاقة وثيقة لا يشوبها أي شك بين الزلزلة والانفجارات البركانية . كما بينا في المقارنة بين خرائط (أحزمة الزلزال) وخرائط (أحزمة النار)[١].

وقوله تعالى (وقال الإنسان مالها) التعريف في (الإنسان) تعريف الجنس المقيد للاستغراق ، أي وقال الناس ما لها ، أي الناس الذين هم أحياء ففزعوا ، وقال بعضهم لبعض ، أو قال كل أحد في نفسه حتى استوى في ذلك الجبان والشجاع ، والطائش والحكيم ، لأنه زلزال تجاوز الحد الذي يصبر على مثله الصبور . وقول (مالها) استفهام عن الشيء الذي ثبت للأرض ولزمها لأن اللام تفيد الاختصاص أي ما للارض في هذا الزلزال أو مالها زلزلت هذا الزلزال ، أي ماذا ستكون عاقبته ،نزلت الأرض منزلة قاصد مريد يتساءل الناس عن قصده من فعله حيث لم يتبين غرضه منه ، وإنما يقع مثل هذا الاستفهام غالباً مردفاً بما يتعلق بالاستقرار الذي في الخبر مثل أن يقال : ماله يفعل كذا ، أو ماله في فعل كذا ، أو ماله وفلاناً ، أي معه ، فلذلك وجب أن يكون هنا مقدَّر أي مالها زلزلت ، أو مالها في هذا الزلزال ، أو مالها وإخراج أثقالها [٢].

أما قوله تعالى : (يومئذ تحدث أخبارها) يفيد استعمال كلمة يومئذ قبل المضارع بتخليص زمنه للاستقبال [٣].

وجملة (يومئذ تحدث أخبارها) الخ جواب (إذا) باعتبار ما أبدل منها من قوله (يومئذ يصدر الناس) فيومئذ بدل من (يومئذ تحدث أخبارها) و (أخبارها) مفعول ثان لفعل (تحدث) لأنه مهما الحق بظن لإفادة الخبر علماً ، وحذف مفعوله الأول لظهوره أي تحدث الإنسان لأن الغرض من الكلام هو إخباره لما فيه من تهويل [٤].

وتحديث الأرض إما بلسان الحال حيث يدل على ذلك دلالة ظاهرة أو بلسان المقال بان ينطقها الله سبحانه وقيل هو متصل بقوله (وقال الإنسان ما لها) أي قال مالها تحدث

---

[١] -ينظر تيسير الرحيم الرحمن ٢١١.

[٢] -ينظر التحرير والتنوير ٣٠/٤٣٣-٤٣٤ .

[٣] -ينظر لغة القرآن الكريم في جزء عم ٤٨٨.

[٤] -ينظر التحرير والتنوير ٣٠/٣٣٤.

أخبارها متعجباً من ذلك . وقال يحيى بن سلام تحدث أخبارها بالرجفة والزلزلة وإخراج الموتى ومفعول تحديث الأول محذوف والثاني هو أخبارها أي تحدث الخلق أخبارها[1].

أما التفسير العلمي الحديث فقد بينا أن الأرض تسجل على الإنسان كل أعماله وكأنها يوم القيامة تحدثهم بلسان الحال ما فعل على ظهرها ويبقى التحديث مهما تطورت العلوم هو في علم الله وما هذه المكتشفات إلا جزء بسيط وآية العلماء على تحديث الارض .

وهذا التفسير العلمي ايضاً مطابق لحديث الرسول ﷺ قال : (أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، تقول : عمل يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ، فهذه أخبارها)[2]وصدق رسول الله .

---

[1] -ينظر الفتح القدير ٤٧٨/٥.

[2] -سنن الترمذي ٤٤٦/٥ رقم الحديث ٣٣٥٣.

الفصل الثاني

المبحث الاول

<u>حمل الأرض والجبال ودكها</u> :

قال تعالى : {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ [١].

وقال تعالى : {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً }[٢].

الدك في اللغة :

قال ابن فارس الدال والكاف أصلان : أحدهما يدل على التطامن والانسطاح .. ومنه الأرض الدكّاء ، وهي العريضة المستوية .. ومنه الناقة الدكّاء التي لا سنام لها ... والأصل الآخر يقرب من باب الابدال فكأن الكاف فيه قائمة مقام القاف يقال دككت الشيء ، مثل دققته[٣].

وجاء في اللسان : الدك هدم الجبل والحائط ونحوهما[٤].

وفي مفردات الراغب : الدك الأرض اللينة السهلة [٥].

أما الرّج لغة : التحريك .. ورَجة الرعد صوته [٦]. وفي مفردات الراغب الرَج تحريك الشيء وازعاجه [٧].

---

[١] -الحاقة /١٣-١٥

[٢] -الواقعة /١-٦.

[٣] -مقاييس اللغة /باب (دك)

[٤] -لسان العرب باب (دك).

[٥] -مفردات الراغب / دك.

[٦] -ينظر لسان العرب /باب (د ح ج)

[٧] -مفردات الراغب / باب (د ح ج)

وأما البَس لغة :

قال ابن فارس الباء والسين أصلان : أحدهما السوق والآخر فَت الشيء وخَلطه .. فالأول قوله تعالى: (وبُست الجبال بسا) ...بست الحنطة أي فتتت[١].

وجاء في اللسان : بس السُويق والدقيق يبسه بسا : خلطه بسمن أو زيت ، وهي البَسِيسَة قال اللحياني : هي التي تلت بسمن أو زيت ولا تبل .. وقال ثعلب : (وبست الجبال بسا) خلطت بالتراب .. والبس ضرب من زجر الإبل [٢].

وفي القاموس البس : السوق اللين ... وبست الجبال فتتت وصارت أرضاً[٣]

<u>أقوال المفسرين في تفسير آيات الحاقة</u> :

فإذا نفخ في الصور إسرافيل نفخة واحدة وهي النفخة الأولى قال ابن عباس هي النفخة الأولى لقيام الساعة فلم يبق أحد إلا مات (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة) رفعت من أماكنها إما بالزلزلة التي تكون في القيامة وإما بالريح بلغت من قوة عصفها أنها تحمل الأرض والجبال أو بملك من الملائكة أو بقدرة الله من غير سبب (فدكتا دكة واحدة) أي فكسرتا كسرة واحدة لا زيادة عليها أو ضربتا ضربة واحدة بعضها ببعض حتى صارتا كثيبا مهيلاً . (يومئذ وقعت الواقعة) أي قامت القيامة.[٤]

<u>أقوال المفسرين في تفسير آيات الواقعة</u> :

(إذا وقعت الواقعة) إذا حدثت القيامة سماها الواقعة لتحقق وقوعها وقيل لكثرة ما يقع فيها من الشدائد (ليس لوقعتها كاذبة) أي لا يكون حين تقع تكذب على الله تعالى أو تكذب في نفيها كما تكذب الآن (خافضة رافعة) تخفض قوماً وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك أو بيان لما يكون حينئذ من خفض أعداء الله ورفع أوليائه أو إزالة الأجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو (إذا رجت الأرض رجا) حركت تحريكاً شديداً بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل وعن ابن عباس الرجة الحركة الشديدة

---

[١]– ينظر مقاييس اللغة /(بس)

[٢] –ينظر لسان العرب / باب(بس).

[٣] –ينظر القاموس المحيط / باب(بس).

[٤] –ينظر جامع البيان ٥٦/٢٩ ، الكشاف ٦٠٥/٤ ، التفسير الكبير ٩٥/٣٠ ، الجامع لأحكام القرآن ٦٤/١٨ ، أنوار التنزيل ٣٨٠/٥ ، فتح القدير ١٨١/٥.

يسمع لها صوت (وبست الجبال بسا) فتتت الجبال فتا حتى صارت كالدقيق المبسوس وقيل بست قلعت من أصلها وسيقت وسيرت من بس الغنم إذا ساقها (فكانت هباءً منبثا) والهباء هو الهواء المختلط بأجزاء أرضية تظهر في خيال الشمس إذا وقع شعاعها في كوة، عن ابن عباس هو ما تطاير من النار إذا اضطربت يطير منها شرر فإذا وقع لم يكن شيئاً (منبثا) منتشراً[١].

النظرة العلمية :

الزلازل أنواع مختلفة وهي عبارة عن موجات ذبذبية ناتجة عن تعرض الطبقات التحت الشخصية لشد أو ضغط إلى حد أن تكسر تلك الطبقات فتنطلق طاقة هائلة على هيئة موجات تعرف بالموجات السيزمية Saismic Vaves وهي أنواع من أنواعها موجات تنتشر في الأواسط اللدنة على هيئة تضاغطات وتخلخلات وحركة جزيئات وسط الانتشار ، وتكون دائماً في اتجاه انتشار الموجة ومثلها مثل الموجات الصوتية ، أي يصدر عنها صوت وهذا ما شاهدناه في زلزال ١٩٩٢ في منطقة (أبو زعبل) بالقرب من مدينة القاهرة ، فلقد سمع صوت قوي أعقبه هزات أرضية . وهناك موجات أخرى يمكن أن يشعر بها الإنسان عند حدوث زلزال ويمكنها الانتشار فقط في الصخور الصلبة (أي لا يمكنها الانتشار في الوسط المائي) . وحركة جزيئات الوسط تكون دائما في اتجاه عامودي على انتشار الموجة مثلها مثل أمواج الماء حيث تدفع جزيئات وسط الانتشار إلى أعلى وإلى أسفل مما تسبب حدوث صدوع وبالتالي خسف بالطبقات التي تمر بها . ويوجد نوع آخر من الأمواج لها خاصية الانتشار خلال الأسطح الخارجية للمواد الصلبة وحركة الجزيئات تكون دائماً في اتجاه عامودي على اتجاه انتشار الموجة في شكل اهليجي . ومعظم الهزات التي نشعر بها من الزلازل تكون بفعل هذا النوع من الموجات حيث تأثيرها يكون أقوى الأنواع وحركتها تكون في شكل شبه دائري . مما تقلقل الطبقات تحت السطحية التي تمر بها فيما يعرف بالرجفة . كما توجد موجات أفقية[٢].

---

[١]- ينظر جامع البيان ١٦٧/٢٧ ، الكشاف ٤٠٤/٤ ، التفسير الكبير ١٢٢/٢٩ ، الجامع لأحكام القرآن ١٩٤/١٧ ، أنوار التنزيل ٢٨٣/٥ ، إرشاد العقل السليم ١٨٩/٨ ، فتح القدير ١٤٧/٥ ، روح المعاني ١٢٩/٢٧.

[٢]- ينظر مجلة الإعجاز العلمي ، العدد الثاني والعشرون ، رمضان ١٤٢٦هـ السعودية ، بعنوان الزلزال ص٣٣-٣٥ ، بقلم إبراهيم طربية.

وهناك نظرة علمية أخرى في تدمير الأرض فقد يكون تدمير الأرض بفعل الرنين فقد حصلت كوارث عديدة بفعل الرنين الانشائي فالأصوات يمكن أن تدمر إذا توافق حالة الموجة القادمة مع الصفة (التردد الطبيعي) لتداخل المادة ، وإذا وافقت الموجة الخارجية هذه الصفة (لكل مادة صفة) يحصل رنين . وقد يحصل في أجزاء من الثانية أن تتحول المادة الصلبة إلى مادة غازية بواحد من المليون ، وهذا التحول يؤدي إلى حرارة عالية . كل ذلك يحدث بفعل الصيحة والرجفة فالصيحة (الصوت) أدت إلى الرجفة جراء المجال الكهرومغناطيسي وإذا كان في الأرض يؤدي إلى زلزال فالصوت ينتقل عبر الضوء ويصعد بقوة الضوء واحد من المليون وينزل واحد من الألف من الثانية يؤدي إلى حرارة هائلة في المنطقة وإلى عصف هائل يؤدي صعود هواء الساخن إلى هواء بديل عنه يؤدي إلى عصف هائل وكل هذه العمليات تجري في أجزاء من الثانية . وهكذا بعد عملية النفخ في الصور ستصبح اهتزازات[١].

أما النظرة العلمية في حال الجبال يوم القيامة فالجبال كتل صخرية هائلة تحوي على صخور مختلفة الأصول الجيولوجية منها البركاني الناري التي تمتد جذورها إلى طبقات سحيقة في القشرة الأرضية وهي نفسها التي تخرج منها جوف الأرض المنصهر على شكل حمم بركانية ، ومنها الرسوبي الناتج عن تفتت الأول وانتقاله بفعل الرياح والمياه قم تكونه بفعل الضغط والحرارة وهذه لا تمتد جذورها لأعماق سحيقة ولا تحصل فيها البراكين ، ومنها المتحول . هذه الجبال يقول علماء الجيولوجيا إنها ستنهار عند نهاية الكون بشكلين ، الأول يتعلق بالنوع البركاني النـــاري ، فبصعود أثقال الأرض ومنها المنصهرة إلى السطح بشكل عنيف جداً وتمزق هذه الجبال وتنفجر وتنسف لتزول وتدك وتصبح قاعاً صفصفا مسواة بالأرض ، أما النوع الآخر فإنها ستصبح هباء متطاير مكونة من ذرات الرمل والطين الملونة حسب معادنها [٢].

---

[١]– ينظر آيات وحوار (قرص سيدي) بعنوان (الصوت) د. انيس الراوي و د. خالد العبيدي .

[٢] –ينظر سلسلة ومضات إعجازية من القرآن والسنة (آخر الزمان) ٧٧.

الضابط اللغوي في التفسير :

الصُّوْر : قرن ثور يقعر ويجعل في داخله سداد يسد بعض فراغـــه وقوله تعـــالى: (فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة) النفخة : مصدر نفخ مقترن بالهاء الدالة على المرة ، أي الواحدة فهو في الأصل مفعول مطلق ، أو تقع على النيابة عن الفاعل للعلم بأن فاعل النفخ الملك الموكل بالنفخ في الصور وهو إسرافيل . ووصفت (نفخة بواحدة) تأكيد لإفادة الوحدة من صيغة الفعلة تنصيصاً على الوحدة المفادة من التاء، وهذا يبين ما روي عن صاحب الكشاف في تقريره بلفظ مجمل نقله الطيبي ، فليس المراد بوصفها بـــ(واحدة) أنها غير متبعة بثانية فقد جاء في آيات أخرى أنهما نفختان ، بل المراد أنها غير محتاج حصول المراد منها إلى تكررها كناية عن سرعة وقوع الواقعة ، أي يوم الواقعة [١].

وإذا عدنا إلى التفسير العلمي وجدنا كيف يكون للصوت نتائج مدمرة بفعل الرنين ومعلوم أن الصوت ينتقل عبر الضوء وفي السماء ليس فراغاً وإنما هناك المادة السوداء[٢].

وقوله تعالى (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة) لا يجوز في (دكة) إلا النصب لارتفاع الضمير في (دكتا) وقال الفراء لم يقل فدككن لأنه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة والأرض كالجملة الواحدة ومثله (أن السماوات والأرض كانتا رتقاً)[٣] ولم يقل كن[٤]. وهذا يوافق التفسير العلمي في حمل الجبال والأرض ودكها بفعل الزلزلة .

فبعد عملية النفخ ستصبح اهتزازات والأرض ليس المراد منها (الكرة الأرضية) لأن المعطوف ليس من المعطوف عليه فالأرض هي الانبساط والجبال الارتفاع فالأرض والجبال كلها حملت ونزلت ثم دكت [٥]. وذكر الزمخشري أن الدك أبلغ من الدق[٦].

---

[١] –ينظر التحرير والتنوير ٢٩/١١٥–١١٦.

[٢] –ينظر آيات وحوار (قرص سيدي) د. انيس الراوي و د. خالد العبيدي .

[٣] –الأنبياء /٣٠.

[٤] –ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٨/٢٦٤.

[٥] –ينظر آيات وحوار (قرص سيدي) د. انيس الراوي و د. خالد العبيدي .

[٦] –ينظر الكشاف ٤/٦٠٥.

وقد بينا سابقاً معاني الدك وهي موافقة للتفسير العلمي فالدك يأتي بمعنى الهدم وهذا ما سيحدث للجبال ويأتي أيضاً بمعنى الانبساط وذلك بعد تفجيرها وكذلك ياتي بمعنى الأرض اللينة السهلة وذلك بعد أن تكسر الجبال وتصبح كثيباً مهيلا .

وبُنِيَت الأفعال (نفخ ، وحملت ، ودكتا) للمجهول لأن الغرض متعلق ببيان المفعول لا فاعل تلك الأفعال إما الملائكة أو ما أودعه الله من أسباب تلك الأفعال ، والكل بإذن الله وقدرته[١].

وجملة (فيومئذ وقعت الواقعة) مشتملة على جواب (إذا) ، أعني قوله (وقعت الواقعة) ، وأما قوله : (فيومئذ) فهو تأكيد لمعنى (فإذا نفخ في الصور) الخ لأن تنوين (يومئذٍ) عوض عن جملة تدل عليها جملة (نفخ في الصور) إلى قوله دكة واحدة ، أي فيوم إذ نفخ في الصور إلى آخره وقعت الواقعة وهو تأكيد لفظي بمرادف المؤكَّد ، فإن المراد بـــ(يوم) من قوله (فيومئذٍ وقعت الواقعة) ، مطلق الزمان كما هو الغالب في وقوعه مضافا إلى (إذا)[٢].

أما الضابط اللغوي في تفسير قوله تعالى : (إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة) أي إذا قامت القيامة فقد عبر عنها بالواقعة للإيذان بتحقيق وقعها لا محالة كأنها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع في حيز الشرط كأنه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب إذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كأنه قيل إذا وقعت الواقعة يكون من الأهوال مالا يفي به المقال وقيل بالنفي المفهوم من قوله تعالى: (ليس لوقعتها كاذبة)[٣] .

أما قوله تعالى : (خافضة رافعة) فقد فسر المفسرون الخفض والرفع على الحقيقة والمجاز (والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكاني والمكانة والعز والمهانة ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسعاً ومجازاً على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل يقولون ليل نائم ونهار صائم وفي التنزيل (بل مكر الليل والنهار) [٤] والخافض والرافع على الحقيقة انما هو الله وحده ..)[٥].

---

[١] -ينظر التحرير والتنوير ١١٦/٢٩.

[٢] -ينظر المصدر نفسه ١١٦/٢٩.

[٣] -ينظر الكشاف ٤٠٥/٤ ، إرشاد العقل السليم ١٨٨/٨ ، فتح القدير ١٤٧/٥ ، روح المعاني ١٢٩/٢٧.

[٤] -سبأ / ٣٣.

..)[1]. فالخفض والرفع قد ياتي بمعنى رفع وخفض الأقوام ويأتي أيضاً بخفض ورفع الأجرام كما فسر به المفسرون القدماء وكذلك يأتي موافقاً للتفسير العلمي بخفض الأرض وارتفاعها من خلال عدد من الموجات الاهتزازية التي تحدث للأرض وكذلك ارتفاع مكونات الجبال وانخفاضها ودكها كل هذه المعاني يختزنها اللفظ القراني (خافضة رافعة) بإيجاز بليغ .

أما قوله تعالى : (إذا رجت الأرض رجا) فقد بينا أن الرج يأتي بمعنى تحريك الشيء وازعاجه وهذا يشمل كل الموجات الزلزالية الأفقية والعامودية . وقوله تعالى (وبست الجبال بسا) البس يأتي بمعنى الخلط وهذا ما يحدث عند نسف الجبال واختلاط مكوناتها وياتي بمعنى فتتت كما فسر المفسرون القدماء وكما بينا في التفسير العلمي كيف تنسف الجبال بفعل الهزات الأرضية وبفعل الرنين في أجزاء من الثانية وياتي بمعنى السوق وهو انتقالها من مكان لآخر كما في قوله تعالى: (وتسير الجبال سيرا)[2]. وقوله تعالى: (فكانت هباء منبثا) والهباء هو الهواء المختلط بأجزاء أرضية ومن الناحية الصوتية (قال الذين يقولون إن بين الحروف والمعاني مناسبة أن الهواء إذا خالطه أجزاء ثقيلة أرضية ثقل من لفظه الحرف فأبدلت الواو الخفيفة بالباء التي لا ينطبق بها إلا باطباق الشفتين بقوة)[3]. وقوله(منبثا)، أي منتشرا وهو الهباء المتطاير هو مكونات الجبال المتطايرة حسب معادنها.

---

[1] –ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٩٦/١٧.

[2] –الطور /١٠.

[3] –التفسير الكبير ١٢٤/٢٩.

المبحث الثاني

رجف الأرض والجبال :

قال تعالى : {يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً }[١]

وقال تعالى : {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ }[٢].

الرجف في اللغة :

قال الخليل [٣]: الرَجْفَة في القرآن كل عذاب أخذ قوما فهي رَجْفَة وصيحة وصاعقة . والرعد يرجف رَجْفًا ورَجِيفا وذلك تردد هدهدته في السحاب.

وفي اللسان[٤] : رَجَفَ رَجَفَان : الاضطراب الشديد رجف الشيء يرْجف رجفاً ورجُوفاً .. وأرجف : خفق واضطرب اضطراباً شديداً ... والرجفة الزلزلة ورجت الأرض إذا تزلزلت .

وجاء في النهاية في غريب الأثر[٥] : فيه (يأيها الناس اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة) الراجفة : النفخة الأولى التي يموت فيها الخلائق ، والرادفة النفخة الثانية التي يحيون لها يوم القيامة وأصل الرجف الحركة والاضطراب.

أقوال المفسرين في قوله تعالى : (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة):

قوله تعالى (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) قال ابن عباس هما النفختان الأولى والثانية[٦] . وقال البيضاوي[٧]: المراد بالراجفة الأجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالأرض والجبال .. أو الواقعة التي ترجف الأجرام عندها وهي النفخة الأولى (تتبعها الرادفة) التابعة وهي السماء والكواكب أو النفخة الثانية .

---

[١] -المزمل /١٤.

[٢] -النازعات /٦ -٧.

[٣]- العين / ج ر ف .

[٤] -لسان العرب / رجف .

[٥] -النهاية في غريب الأثر (رجف) ، ٢٠٣/٢.

[٦] -ينظر تفسير القرآن العظيم ٤٦٧/٤.

[٧] -ينظر أنوار التنزيل ٤٤٦/٥ .

وقال الشوكاني : المراد هنا الصيحة العظيمة التي فيها تردد واضطراب كالرعد وهي النفخة الأولى التي يموت فيها جميع الخلائق والرادفة النفخة الثانية التي تكون عند البعث وسميت الرادفة لأنها ردفت النفخة الأولى كذا قال جمهور المفسرين [١].

الضابط اللغوي في التفسير (آية النازعات) :

يقول ابن عاشور [٢]: الرجف : الاضطراب والاهتزاز وفعله من باب نصر وظاهر كلام أهل اللغة أنه فعل قاصر ولم ارَ من قال : إنه يستعمل متعدياً فلذلك يجوز أن يكون إسناد (ترجف) إلى (الراجفة) حقيقيا ، فالمراد بـــ(الراجفة) : الأرض لأنها تضطرب وتهتز بالزلازل التي تحصل عند فناء العالم الدنيوي والمصير إلى العالم الأخروي ... وتأنيث (الراجفة) لأنها الأرض ، وحينئذ فمعنى (تتبعها الرادفة) أن رجفة أخرى تتبع الرجفة السابقة لأن صفة (الراجفة) تقتضي وقوع رجفة . فالرادفة رجفة ثانية تتبع الرجفة الأولى ويجوز أن يكون إسناد (ترجف) إلى (الراجفة) مجازا عقلياً ، أطلق (الراجفة) على سبب الرجف فالمراد بـــ(الراجفة) الصيحة والزلزلة التي ترجف الأرض بسببها جعلت هي الراجفة مبالغة كقولهم : عيشة راضية وهذا هو المناسب لقوله : (تتبعها الرادفة) أي تتبع تلك الرجفة ، أي مسببة الرجف رادفة ، أي الوقعة بعدها .

وإذا عدنا إلى التفسير العلمي كما بيناه سابقا نجده مطابقا لأقوال المفسرين حين فسروا الراجفة بالأجرام التي تهتز جراء الزلزال وكذلك تفسير اللغوي حين فسر (الراجفة) بالأرض لأنها هي التي سترتجف وهذا كما وجدناه في النظرة العلمية كيف أن هناك موجات اهتزازية عنيفة ترج الأرض رجا .

وكذلك حركة الجبال وتفتيتها وذلك بصعود المنصهرة في الجبال البركانية بشكل عنيف جداً وتمزيقها[٣].

وذكر ابن عاشور أيضا أنه يجوز أن يكون الرجف مستعارا لشدة الصوت فشبه الصوت الشديد بالرجف وهو التزلزل [٤] وهذا أيضاً مطابق للتفسير العلمي حين فسر النفخ

---

[١] –فتح القدير ٣٧٤/٥ ، التحرير والتنوير ٦٠/٣٠ ، روح المعاني ٢٦/٣٠ ، إرشاد العقل السليم ٩٦/٩.

[٢] –ينظر التحرير والتنوير ٦٠/٣٠.

[٣] –ينظر سلسلة ومضات إعجازية (آخر الزمان) ٧٧.

[٤] –ينظر التحرير والتنوير ٦٠/٣٠.

النفخ في الصور بتأثير الصوت المدمر المتمثل بالرنين كما بيناه، وبهذا تكون الرادفة هي الزلزال الحاصل بفعل الرنين .

أقوال المفسرين في قوله تعالى: (يوم ترجف الأرض والجبال فكانت كثيباً مهيلا):

يوم ترجف الأرض أي تزلزل أغلظ حركة وكانت كثيبا رملا مجتمعاً (مهيلا) سائلا بعد اجتماعه[١].

الضابط اللغوي في تفسير الآية :

الكثيب : الرمل المجتمع كالربوة ، أي تصير حجارة الجبال دقاقاً وسمي الكثيب كثيباً لأن تربته دقاق كأنه مكثوب منشور بعضه على بعض لرقاقته [٢].

والمهيل مفعول من قول القائل هلت الرمل فأنا أهيله وذلك إذا حرك أسفله انهال عليه أعلاه وللعرب في ذلك لغتان مهيل ومهيول والأكثر في اللغة مهيل وذلك أن الياء تحذف منه الضمة فتسكن والواو أيضا ساكنة فتحذف الواو [٣].

وإذا عدنا إلى التفسير العلمي وجدنا أن التفجير والتفتيت سوف يكون في أسفل الأرض والجبال بفعل الموجات الزلزالية والصهاره البركانية فينهال كل منهما مرة أخرى على شكل ذرات من الرمال .

---

[١] -ينظر زاد المسير ٣٩٣/٨ ، جامع البيان ١٣٦/٢٩ ، أنوار التنزيل ٤٠٧/٥ ، روح المعاني ١٠٨/٢٩ .

[٢] -ينظر التفسير الكبير ١٦٠/٣٠ ، وينظر التحرير والتنوير ٢٥٣/٢٩.

[٣] -ينظر جامع البيان ١٣٦/٢٩ ، التفسير الكبير ١٦٠/٣٠ ، التحرير والتنوير ٢٥٣/٢٩.

المبحث الثالث

تصيير الجبال كالعهن المنفوش :

قال تعالى : {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ }[١]

العهن في اللغة :

جاء في اللسان [٢]: العهن : الصوف المصبوغ ألوانا ومنه قوله تعالى: (كالعهن المنفوش) .. وقالوا العهن الصوف الملون وقيل العهن الصوف المصبوغ أي لــون كان ، وقيل كل صوف عهن .

أقوال المفسرين :

(وتكون الجبال كالعهن) كالصوف ذي ألوان المنفوش المندوف لتفرق أجزائها وتطايرها في الجو[٣].

قال الرازي[٤] : واعلم أن الله تعالى أخبر أن الجبال مختلفة الألوان على مــا قــال : **{ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ }**[٥]. ثم أنه سبحانه يفرق أجزاءها ويزيل التآليف والتراكيب عنها فيصير ذلك مشابها للصوف الملون بالألوان المختلفة إذا جعل منفوشاً ويحتمل أن يكون المراد أن جبال النار تصير كالعهن المنفوش لشدة حمرتها .

النظرة العلمية :

ذكرنا سابقا أن الجبال من النوع الرسوبي ستصبح هباءً متطايرا مكونة من ذرات الرمل والطين الملونة حسب معادنها كأنها ريش أو صوف ملون[٦].

---

[١] –القارعة /٥ .

[٢] –لسان العرب / عهن .

[٣] –ينظر أنوار التنزيل ٥٢٢/٥ ، تفسير الجلالين ٨١٩ ، التحرير والتنوير ٤٥١/٣٠ .

[٤]– التفسير الكبير ٦٨/٣٢ .

[٥] –فاطر /٢٧.

[٦] –سلسلة ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية (آخر الزمان) ٧٧.

الضابط اللغوي في التفسير :

ذكر ابن عاشور أن وجه الشبه بين حال الجبال والصوف المنفوش هو تفرق الأجزاء لأن الجبال تندك بالزلازل ونحوها فتتفرق أجزاء[1] ولا يخفى من كلام الرازي أن وجه الشبه أيضا يكون في الألوان كما جاء في التفسير العلمي أيضا وإذا تأملنا جرس الحروف سنشاهد أن حرف الشين من حروف التفشي والتفشي هو تفرق الهواء فهو يرمي بظلاله إلى معنى التفرقة والانتشار كما سيحدث للجبال.

[1]- ينظر التحرير والتنوير ٣٠/٤٥١.

المبحث الرابع

تحول الجبال إلى سراب :

قال تعالى : {وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً }[1].

السراب في اللغة : قيل السراب الذي يكون نصف النهار لاطئاً بالأرض لاصقا بها كأنه ماء جاري .. وقال ابن السكيت السراب الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء وهو يكون نصف النهار[2].

أقوال المفسرين :

وسيرت الجبال فكانت سراباً أي يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر[3] . أو أنها تنعكس إليها الأشعة وهي هباء فتبدو كالسراب[4].

وذكر ابن عاشور ان التسيير : جعل الشيء سائراً أي ماشياً وأطلق هنا على النقل من المكان أي نقلت الجبال وقلعت من مقارها بسرعة الزلزال أو نحوها ، حتى كأنها تسير من مكان إلى آخر وهو نقل يصحبه تفتيت كما دل عليه تعقيبه بقوله (فكانت سرابا) لأن ظاهر التعقيب أن لا تكون معه ، أي فكانت كالسراب لأنها لا شيء[5] .

النظرة العلمية في التفسير :

معلوم أن المادة تتحول إلى طاقة والطاقة تتحول إلى مادة وهذا حسب قوانين فيزياء أنشتاين . أما منظر الجبال في حركتها بسرعة هائلة فسوف تتحول عند تلك اللحظات الرهيبات بكتلتها الهائلة وسرعتها الفائقة إلى طاقة ومنها طاقة ضوئية وهذا ما عبر عنه القرآن بالسراب لأن السراب واضح لأهل الخطاب من العرب الذين نزل فيهم كتاب الله وهو انعكاس ضوئي لأشعة الشمس على ذرات الرمل في الصحراء لتبدو وكأنها ماء

---

[1] -نبأ /٢٠ .

[2] -ينظر لسان العرب / سرب ، القاموس المحيط / سرب .

[3] -تفسير القرآن العظيم ٤٦٤/٤.

[4] -في ظلال القرآن ٣٨٠٧/٦ . وينظر التحرير والتنوير ٣٠/٣٠.

[5] -ينظر التحرير والتنوير ٣٠/٣٠.

للرائي وهو عكس حقيقة الأمر . وهكذا الجبال ستبدو للرائي طاقة ضوئية تشبه السراب وهذا هو بالضبط ما توصل إليه الإنسان من تحول المادة إلى طاقة بسبب السرعة العالية وما نصت عليه قوانين فيزياء أنشتاين وكذلك قوانين السرعة والتعجيل والحركة لفيزياء نيوتن[1].

الضابط اللغوي في التفسير :

فسر المفسرون أن الجبال ستكون كالسراب والتفسير العلمي يبين أن الجبال ستكون بالضبط سراباً بعد تحول المادة إلى طاقة ومن دقة ألفاظ القرآن الكريم أنه لم يستعمل في هذه الآية أداة التشبيه (الكاف) كما استعملها في الآية السابقة في قوله تعالى: (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وإنما أخبر الله تعالى أنها ستكون هي سراباً وهذا من بلاغة القرآن الكريم ودقة استعماله للألفاظ .

[1] –ينظر المنظار الهندسي للقرآن الكريم ٢٧٥.

الخاتمة

بعد مشاهدة بعض أهوال يوم القيامة في نهاية الأرض والأدلة العلمية عليها ، يمكن أن نجمل بعض الأمور التي توصلنا إليها وهي كالآتي :

١. زلزال يوم القيامة هو الزلزال الأعظم والمدمر لها لذا قال تعالى (زلزالها) بإعادة الضمير إلى الأرض ، فضلا عن أسلوب التهويل الذي استعمله القرآن الكريم حيث بدأ بـــ(إذا) التي تفيد وقوع الزلزال لا محالة .

٢. أثقال الأرض يمكن أن يراد بها الأموات كما فسر به عدد من المفسرين القدماء ويمكن أن يراد بها معادن الأرض الثقيلة من حديد ونيكل وهذا ما أثبته العلماء ، حيث أثبتوا أن المواد التي في باطن الأرض أثقل من القشرة الخارجية لها ، القرآن الكريم يحتمل كلا الوجهين .

٣. أثبت العلماء أن الأرض تسجل كل ما يدور عليها،وهذا ما ذكره القرآن الكريم باسلوب بلاغي حين قال(تحدث أخبارها) فضلاعن إعجازه العلمي .

٤. أثبت العلماء أن الصوت يمكن أن يحدث كوارث مدمرة بفعل الرنين وقد أخبر الله تعالى أن القيامة تقوم حين ينفخ في الصور وبين قوة هذا الصوت حينما وصف النفخة بالواحدة ، ولم يصفها بعدة نفخات .

٥. فسر العلماء قوله تعالى: (خافضة رافعة) عدة تفسيرات منها في المكان ومنها في المكانة ومن بلاغة القرآن أنه اختزل بكلمتين كل هذه المعاني وهذا من إعجاز القرآن الكريم .

٦. الرجف في القرآن الكربم يمكن أن يراد به الصيحة ويمكن أن يراد به الزلزلة وهذا ما أثبته العلم الحديث .

٧. وصف القرآن الكريم الجبال بأوصاف عديدة ودقيقة كما ذكر العلم الحديث ما سيحدث للجبال إذا نسفت .

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث المتواضع

والحمد لله رب العالمين.

المصادر

- القرآن الكريم
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، تأليف أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- أنوار التنزيل ، للبيضاوي ، دار الفكر ، بيروت
- البرهان في علوم القرآن / أبو عبدالله محمد بن بهاء بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ) تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩١ (د ط).
- التحرير والتنوير ، محمد الظاهر ابن عاشور ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت / لبنان ، ط٢٠٠٠م.
- تفسير البغوي : للبغوي ، تحقيق : خالد عبد الرحمن المسك ، دار المعرفة ، بيروت .
- تفسير الجلالين / العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مكتبة المثنى ، بيروت – لبنان .
- تفسير القرآن العظيم / أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ .
- التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ، تاليف فخر الدين بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م.
- تيسير الرحيم الرحمن في الإعجاز العلمي للقران / تاليف لطيف أحمد عبود (د.د) ، (د.ط)
- جامع البيان في تأويل آي القرآن : محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر بيروت
- الجامع لأحكام القرآن ، تأليف أبو عبدالله بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب – القاهرة .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / أبو الفضل محمد الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت . (د.ت) .

- زاد المسير في علم التفسير ، تأليف : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجــوزي ، دار النشر : المكتب الإسلامي / بيروت ،ط٣ ، ١٤٠٤هــ.
- سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت٢٧٩هــ) تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- سلسلة ومضات إعجازية (آخر الزمان) ، تأليف : د. خالد فائق العبيدي دار الكتب العلمية ، بريوت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥م.
- صحيح البخاري ، تأليف : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، تحقيق : مصطفى ديب بغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هــ / ١٩٨٧م.
- صحيح مسلم ، تأليف : مسلم بن حجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هــ) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي بيروت – (د.ط).
- صفوة التفاسير ، تاليف : محمد علي الصابوني ، ط٤ ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٤٠٢هــ – ١٩٨١م.
- العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هــ) ، تحقيق مهدي المخزومي و الدكتور إبراهيم السامرائي ، دار الهلال للنشر بغداد ، ١٩٨١م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، تأليف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر / بيروت.
- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق / القاهرة ، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون ، ١٤٢٥ هــ ٢٠٠٤م.
- القاموس المحيط / محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هــ) ، دار الفكر ، بيروت – لبنان.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف : أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عبد الرزاق مهدي ، دار إحياء التراث العربي / بيروت .
- الكون والإعجاز العلمي للقران / الدكتور منصور محمد حسب النبي ، ط٢ ، دار دمشق – سورية ،١٩٩٧م..

- لسان العرب / محمد بن مكرم بن منصور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ) ط١ ، دار صادر ، ١٥ جـ ، بيروت .
- لغة القرآن الكريم في جزء عم / محمود أحمد نحلة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ م . (د.ط)
- مجلة الإعجاز العلمي ، السعودية ، العدد الثاني والعشرون ، رمضان ، ١٤٢٦هـ.
- مشكل إعراب القرآن / مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧) تحقيق : حاتم صالح الضامن ، ط٢ مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ.
- المعجم الكبير ، تأليف سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ط٢ ، مكتبة الزهراء – الموصل ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣م.
- معجم مقاييس اللغة / أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) تحـقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون (د.ط) ،(د.ت).
- المفردات في غريب القرآن / تأليف : الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، مكتب الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠م.
- المنظار الهندسي للقران الكريم / د. خالد فائق العبيدي ط١ ، دار الميسرة للنشر ، عمان – الاردن ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- النهاية في غريب الأثر / أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ) تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

قرص سيدي :

- آيات وحوار / د. أنيس مالك الراوي ، د. خالد فائق العبيدي.